RESEARCH ARTICLE

Ali Pasha Hanbeh and his Political Role in Tunisia Until 1912 AD

Yasser Madi Kasem *

Ministry of Education , General Directorate of Education Muthanna , Iraq

ABSTRACT

In this research, we discuss the career of one of the influential figures in the history of Tunisia, who played a major role in standing up to the French colonizers. He took it upon himself to carry out this national mission despite the difficulties that he faced along the way.

Ali Pasha Hanbeh was able to achieve many gains for his country, and his personality was distinguished by its great influence on the Tunisian youth who supported him in getting rid of the injustice and oppression with which the French treated them, and thus led to the expansion of popular rejection of those conditions due to the contributions made by Ali Pasha Hanbeh in various political, cultural and social fields.

The research contained a set of results related to the personality of the research subject, as Ali Bash Hanbeh was not just a national leader, but he was also a negotiator and mediator sometimes between the occupation authorities and the Tunisian population, in addition to his possession of an idea that clearly contributed to drawing the basic lines on which the national movement in Tunisia proceeded, so that this national idea and enthusiasm were not limited to the borders of his country, but rather extended to include large parts of the regions in which Ali Bash Hanbeh settled.

Keywords: **Hanbeh , Pasha , tunisian youth movement, tunis , al zalaj**.

مقالة بحثية

علي باش حانبه ودورهُ السياسي في تونس حتى عام 1912م

ياسر ماضي كاظم*

وزارة التربية ، المديرية العامة لتربية المثنى ، العراق

الملخص:

تناولنا في هذا البحث مسيرة احد الشخصيات المؤثرة في تاريخ تونس ، اذ كان لهُ دوراً كبيراً في الوقوف بوجه المستعمرين الفرنسيين ، فأخذ على عاتقهِ القيام بتلك المهمة الوطنية رغم المصاعب التي اعترضت طريقهُ .

تمكن علي باش حانبه من تحقيق العديد من المكاسب لبلادهِ ، وتميزت شخصيتهُ بتأثيرها الكبير على الشباب التونسي الذين ساندوه في التخلص من الظلم والاضطهاد الذي كان الفرنسيون يعاملونهم بهِ ، وبالتالي ادى الى اتساع الرفض الشعبي لتلك الاوضاع بما قدمهُ علي باش حانبه من اسهامات في شتى المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية .

احتوى البحث على مجموعة نتائج والتي تعلقت بالشخصية موضوع البحث , اذ ان علي باش حانبه لم يكن مجرد زعيم وطني ، بل كان مفاوضا ووسيطا احيانا بين سلطات الاحتلال والسكان التونسيين ، فضلا عن امتلاكه فكرا ساهم بصورة واضحة في رسم الخطوط الاساسية التي سارت عليها الحركة الوطنية في تونس ، حتى ان ذلك الفكر والحماس الوطني لم تقتصر حدوده داخل بلاده ، بل امتد ليشمل اجزاء كبيرة من المناطق التي استقر فيها علي باش حانبه.

الكلمات المفتاحية : حانبة ، الشباب التونسي ، تونس ، باش ، الزلاج.

Received 04-05 2025; revised 01-06-2025; accepted 16-07- 2025. Available online 25 -11- 2025.
* Corresponding author.
E-mail addresses: alganme8890@gmail.com (**Y. M. Kasem**).
https://doi.org/xx.xxxxx/2572-5440.1013
2572-5440/© 2025 The Author(s). Published by Al-Muthanna University. This is an open-access article under the CC BY-NC-SA license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/4.0/).

المقدمة

برزت العديد من الشخصيات التي حملت مسؤولية بلدانها على عاتقها ، واستطاعوا من تزعم الحركة الوطنية والوقوف بوجه المستعمرين الذين تحكموا بمقدرات البلدان العربية ، تلك الشخصيات لم يرقَ لها ذلك الوضع المُزري ، لذا حملت على عاتقها مقاومة الاستعمار البغيض بشتى السبل .

ان ما ذُكر اعلاه ينطبق على الشخصية موضوع البحث (علي باش حانبه) لذا رأينا ضرورة ابراز دورهُ السياسي في تونس ، فجاء موضوع بحثنا هذا (علي باش حانبه ودورهُ السياسي في تونس حتى عام 1912م) ، اذ تم اختيار عام 1912م نهاية المدة الزمنية للبحث لسببين اولهما : لآن هذا التاريخ يمثل حداً فاصلاً لنضال علي باش حانبه في بلاده بعد ان تم نفيه الى الخارج ، وبالتالي ادى الى توقف نشاطه السياسي في تونس. اما السبب الاخر فهو ان عام 1912م يمثل نهاية لحركة سياسية ثقافية اسسها علي باش حانبه في تونس هي (حركة الشباب التونسي) .

قُسمت هيكلية البحث الى مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة للبحث ، جاء المحور الاول منها بعنوان (ولادته ونشأته ودورهُ السياسي حتى عام 1907) ، ويمثل عام 1907م تأسيس علي باش حانبه لحركة الشباب التونسي.

بينما حمل المحور الثاني عنوان (دورهُ السياسي منذُ تأسيسه لحركة الشباب التونسي حتى عام 1909م) . اما المحور الثالث فقد كان عن (دوره في الاحداث السياسية في تونس منذُ عام 1910 حتى نفيه عام 1912) ، تضمن هذا المبحث دوره في اضراب جامعة الزيتونة 1910 وكذلك دوره في دعم الليبيين ضد الاحتلال الايطالي 1911 ، فضلاً عن دوره في مقاطعة شركة الترام 1912م ونفيهُ.

تنوعت المصادر المستخدمة في البحث ، فبعضها كانت رسائل واطاريح جامعية ، والبعض الاخر تنوع ما بين الكتب العربية والكتب المُعربة عن لغات اخرى ، فضلاً عن البحوث المنشورة في المجلات الاكاديمية .

اولاً : ولادته ونشأته ودوره السياسي حتى عام 1907

هو علي بن مصطفى بن علي الشريف ، ولد في تونس العاصمة عام 1876م ، وترجع اصوله الى احدى الاسر التركية العريقة من سكان الاناضول المسلمين ، عرف عنهم الشجاعة والاقدام والخبرة الكافية في شؤون البحر ، كان والدهُ احد اعوان الوزير التركي مصطفى بن اسماعيل[1 , ص31].

دخل علي باش حانبه المدرسة الصادقية[2 , ص210]، ودرس فيها مختلف العلوم ، وكان يتميز بالذكاء والفطنة الشديدين حتى انه تميز عن اقرانه في الحصول على درجات عالية في جميع المواد ، فحصل على اعجاب اقرانهِ واساتذتهِ على حد سواء[3 , ص143].

اصبح عضواً في الجمعية الخلدونية ، التي تأسست على يد البشير صفر [4 , ص49 - 50]عام 1896م ، فساهم في اذكاء روح الوطنية لدى الشباب التونسي الذين انظموا الى الجمعية الخلدونية ، التي كان من اهم مبادئها المساواة والحرية والحق في تقرير المصير[5 , ص113].

بعد ان اتم دراسته في المدرسة الصادقية وتخرج منها ، حصل على شهادة الابتدائية ثم الثانوية ، فقامت الحكومة التونسية بانتدابه عام 1897م ليعمل كمترجم في ادارة الاملاك العقارية ، ثم كلفتهُ بوكالة اوقاف المدرسة الصادقية[6 , ص3]، فأتقن المهام التي اوكلت اليه على اتم وجه ، واعاد تنظيم المصالح الادارية التي كُلف بها ، كما بذل كل ما في وسعه من اجل القيام بتسجيل العقارات التابعة للمدرسة الصادقية ، لكي يضمن الحقوق المترتبة عليها[3 , ص143].

على الرغم من النجاحات التي حققها في المهام التي اوكلت اليه ، الا ان علي باش حانبه قرر ضرورة التحرر من جميع التزاماتهِ الادارية والتفرغ لخدمة بلاده ، لذا اخذ بأكمال دراستهِ من جديد فتوجه هذه المرة الى دراسة الحقوق ، وفعلاً تخرج من كلية الحقوق عام 1906م ، واكمل دراسته وحصل على شهادة (الدكتوراه) في الحقوق ، وبذلك اصبح مؤهلاً لممارسة مهنة المحاماة[7 , ص132].

كان علي باش حانبه ذو نزعة قومية ، تميز بأندفاعهِ وحرصه الشديدين على مصالح بلاده تونس ، وكان ذو رؤية ومنهج وتخطيط تجلت جميعها من خلال المهام العديدة التي قام بها[8 , ص233].

نشأ في محيط فكري وسياسي كان له دوراً في نضوجهِ سياسياً ، تمثل هذا المحيط بظهور الحركة الاصلاحية في جامع الزيتونة التي تزعمها في عهدهِ (الشيخ سالم بو حاجب) ، فضلاً عن المدرسة الصادقية التي تميزت بأفكارها السياسية والثقافية ، والتي ادت الى تشبعهِ بالقيم والافكار النبيلة ، كُل تلك العوامل جعلت منهُ الشخصية الأبرز بين اقرانهِ ، ولاسيما في الحركة الوطنية التونسية ، الامر الذي جعل منهُ شخصية مؤثرة كثيراً على المشهدين السياسي والاجتماعي في تونس[10 , ص27].

كانت لهُ اتصالات وعلاقات وطيدة مع من عاصروه ، ولاسيما زملائه في المدرسة الصادقية او في جامع الزيتونة ومؤسسي الجمعية الخلدونية ، لذا عمل على تنسيق الجهود الممكنة والعمل المشترك من اجل تحقيق النهوض بالبلاد في مختلف المجالات[8 , ص233].

اثمرت الاتصالات والاجتماعات بين الشباب الوطني التونسي عن تأسيس (جمعية قدماء المدرسة الصادقية) في 23 كانون الاول عام

1905م ، وتم اسناد زعامتها الى خير الله بن مصطفى [6 , ص7]، الا ان علي باش حانبه كان هو المشرف والمسؤول على جميع انشطة الجمعية[11, ص36-37].

اكد علي باش حانبه بأن الغرض من تأسيس الجمعية هو لسهولة تكاتف جميع العناصر الوطنية التونسية الناشطة والتي ابدت استعدادها للعمل من اجل تونس ، لكي تكون هذه الجمعية بمثابة مقر لتجمع هؤلاء الشباب من اجل تبادل الخبرات ومناقشة الامور الاساسية من اجل النهوض بأوضاع تونس سياسياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً[3 , ص144].

استطاع علي باش حانبه ومن خلال تسييرهِ لأمور الجمعية من القيام بنشاط واسع وحركة دائمة ، حتى ان الجمعية استطاعت من القاء (84) محاضرة خلال مدة سنة (من نيسان 1906 ولغاية نيسان 1907 م) (27) من هذه المحاضرات كانت في مقر الجمعية ، بينما كانت (57) منها قد توزعت في مختلف انحاء العاصمة تونس[12 , ص29-30].

تناولت الجمعية في محاضراتها مسائل تنوعت في موضوعاتها تعلقت بـ (مسائل تطبيقية حول جسم الانسان وعواقب الخمر ، فضلاً عن علوم الرياضيات والتمثيل والموسيقى)[13 , ص109].

قام علي باش حانبه بأستدعاء كُتاباً ومثقفين فرنسيين معروفين من اجل القاء بعض المحاضرات ، ابرزهم جول برازور (Jules Brazor) وشارل جيني (Charles Geniay) ... وغيرهم ، وكان الهدف من تلك المحاضرات من اجل الاستفادة من تقدم المعرفة والعلوم عند الاوربيين وايصال صوت التونسيين الى الفرنسيين بلغتهم[14 , ص38].

تُعد جمعية قدماء المدرسة الصادقية من اولى الجمعيات التي اهتمت بتأسيس مدارس للبنات المسلمات ، فضلاً عن قيامها بتأسيس مدرسة خاصة بعلوم القرآن الكريم مهمتها الجمع بين تعليم القرآن وحفظهِ ودراسة علوم الحاسوب والهندسة والجغرافية وكذلك تأسيسها للمنتدى التونسي[8 , ص234].

وبذلك كانت جمعية قدماء المدرسة الصادقية النواة الاولى التي اسهمت في بروز وتطور الانشطة الادبية والعلمية داخل مدينة تونس ، وبالتالي في تطور النهضة الفكرية والثقافية من خلال اهتمام مؤسسي الجمعية في القاء العديد من المحاضرات هدفها الحفاظ على مقومات الشخصية العربية الاسلامية في تونس[8 , ص234].

ثانياً: دورهُ منذُ تأسيس حركة الشباب التونسي حتى عام 1909

لا يمكن ذكر تاريخ دقيق لتأسيس (حركة الشباب التونسي) ؛ وذلك لأنها لم تحصل على موافقة رسمية بأنشاؤها ولم تُصرح عن تأسيسها بصورة علنية ، وانما خاضت صراعاً مع الفرنسيين أُجبروا بعدها من الاقرار بوجود الحركة وبأنها تمثل الجانب السياسي في الدفاع عن حقوق التونسيين[12 , ص32].

على الرغم من عدم وجود تاريخ محدد لبداية تأسيس الحركة ، الا ان غالبية المصادر تذكر بأن علي باش حانبه قام بتأسيس الحركة عام 1907م ، وتُعد أول مجموعة سياسية وطنية في تونس حملت برنامجاً سياسياً واضحاً وتضمنت مطالب سعت الحركة الى تحقيقها[15 , ص210].

عُرفت هذه الحركة بعدة تسميات منها (الحزب الاصلاحي) و (الحزب التقدمي) و (حركة تونس الفتاة) ، الا ان التسمية الاكثر تداولاً هي (الشباب التونسي) التي اطلقت على الحركة من قبل الصحافة الفرنسية التي كانت تصدر في تونس[16 , ص168].

تأثرت حركة الشباب التونسي بحركة تركيا الفتاة ، لذلك كان برنامجها مشابهاً تماماً لحركة تركيا الفتاة ، ويرجع سبب ذلك التأثر الى عاملين : اولهما : ان ابرز قادة حركة الشباب التونسي يرجعون الى اصول تركية . وثانيهما انهم يعتبرون انفسهم تابعين روحياً الى الخلافة العثمانية في اسطنبول[17 , ص449].

تضمنت ايدلوجية الحركة بثلاث اتجاهات بارزة هي :

أ- الاتجاه الاول : الذي كان يرى ضرورة ان يكون الاصلاح في تونس على النمط الاوربي وكان علي باش حانبه هو من مثَّل هذا التيار ؛ لأنه لا يرى في عملية انتشار اللغة الفرنسية بين اوساط الشعب التونسي خطرا يُهدد كيان الثقافة العربية ، وذلك لأن هذه الثقافة اساسها اللغة العربية وليست الفرنسية[11 , ص137].

ب- الاتجاه الثاني : هو اتجاه فكري اصلاحي مشترك ، ومثلهُ عبد العزيز الثعالبي ، الذي كان متأثراً بالحركة الاصلاحية لجمال الدين الافغاني ومحمد عبدة[18 , ص134].

ج- الاتجاه الثالث : تيار الجامعة الاسلامية الذي تأثر بحركة تركيا الفتاة المناهضة للسياسة التوسعية الاستعمارية[12 , ص34].

كان للحركة وسائل عمل عديدة اهما (جريدة التونسي) التي تولى ادارتها علي باش حانبه ، وهي جريدة اسبوعية ناطقة باللغة الفرنسية ، وصدر العدد الاول من الجريدة في 7 شباط 1907م ، وتضمن العدد الاول منها افتتاحية دونها علي باش حانبه بعنوان (برنامجنا) تناول فيها ابرز مطالب حركة الشباب التونسي ، فقد كان برنامج جريدة التونسي برنامجاً متكاملاً تضمن ابرز مطالب الحركة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية[19 , ص70]. وابرزها (جعل التعليم مجانياً واجبارياً في المرحلة الابتدائية وضرورة فسح المجال وتسهيل عملية

وصول ابناء الاهالي الى التعليم الثانوي وتوليهم المناصب الادارية اسوة بالفرنسيين ، والاهتمام بالتعليم المهني الصناعي والزراعي وكذلك اصلاح نظام جباية الضرائب. وسياسياً يجب مشاركة التونسيين في المجلس الاستشاري والمساهمة في ادارة شؤون البلاد وتوفير الحماية اللازمة للسكان ومنع كل انواع التعسف والظلم التي يتعرضون لها من قبل المستعمر الفرنسي)[19 , ص70-71].

وبذلك اصبحت جريدة التونسي قطباً روحياً التف حولها جميع الشباب التونسيين ممن يجيدون اللغة الفرنسية[1 , ص139].

اثر علي باش حانبه على آيدلوجية حركة الشباب التونسي كثيراً وساهم في رسم اتجاهها الفكري ، فقد كان صريحاً في مناداتهِ بالانتماء الى الخلافة العثمانية وتبنيه للعديد من افكار الجامعة الاسلامية ، اذ كان يعد كل فرد مسلم ينتمي الى الجامعة الاسلامية وان لم يصرح بذلك او لم يكن يعلم اصلاً ، وفي نظرهِ ان اسطنبول تُعد مركزاً للأسلام ، مثلما كانت (روما) بالنسبة للكاثوليك ، وكان شديد التعلق والتباهي بالخلافة العثمانية ومن المؤيدين لفكرة قيام الوحدة الكاملة بين البلدان الاسلامية[20 , ص137].

كانت افكار علي باش حانبه قريبة جداً من الافكار التي طرحها (مصطفى كامل) في مصر ، اذ ان علي باش حانبه كان يدعوا الى ضرورة توحيد بلاد المغرب العربي للكفاح ضد المستعمرين من فرنسيين وغيرهم ، واقامة علاقات قوية مع قادة المقاومة في جميع بلدان المغرب العربي[21 , ص51].

نظراً لأهمية ما يطرحه علي باش حانبه من مقالات صحفية في جريدة التونسي ، فقد قام الصادق الزمرلي بترجمة تلك المقالات الى اللغة العربية[16،ص179] .

طرح علي باش حانبه رأيهُ تجاه مؤتمر شمال افريقيا الذي عُقد للمدة من 6 – 8 تشرين الاول عام 1908م ، في المدرسة الحرة للعلوم السياسية في باريس من اجل دراسة شؤون بلدان افريقيا الشمالية[18 , ص145].

كان يرى بأن اقامة تلك المؤتمرات يُعد امراً ضرورياً جداً ؛ لأنها تعمل بمثابة (دعاية اعلامية) للقضية التونسية ، وان مجرد عرضها هو حدثاً ذو اهمية كبرة وتتويجاً للحركة الوطنية ، لاسيما وان هذا المؤتمر أقيم في فرنسا[13 , ص136].

عارض علي باش حانبه المسألة التي طرحها (خير الله بن مصطفى) في المؤتمر والتي تضمنت الابقاء على الكتاتيب كوسيلة للتعليم في تونس ، الا ان علي باش حانبه رفض ذلك ، بل طالبَ بالغاء الكتاتيب نهائياً ؛ نظراً لأتباعها طريقة التلقين والحفظ في التدريس وانه يجب تأسيس مدارس حديثة تتلائم وروح العصر وادخال مناهج عصرية لمدرسيها من قبل القائمين عليها[19 , ص 73]. كان مؤتمر شمال افريقيا حافزاً مهماً للرأي العام الاهلي في تونس[1, ص138].

نظراً لأدراكه بأهمية الصحافة في ايصال صوت حركة الشباب التونسي الى الغالبية العظمى من ابناء المجتمع ، لذا قام علي باش حانبه بأصدار نشرة اسبوعية باللغة العربية تصدر كل يومين او ثلاثة ايام احياناً وذلك في تشرين الاول من عام 1909م[11 , ص337-338].

ثالثا: دورهُ في الاحداث التونسية منذ عام 1910 حتى نفيهُ عام 1912 .

1- دورهُ في اضراب طلبة جامع الزيتونة عام 1910 .

ترجع بداية احداث جامع الزيتونة الى شهر آذار عام 1910 م ، عندما قام مجموعة من الطلبة بتقديم عريضة الى الحكومة تضمنت العديد من المطالب تتعلق بأصلاح التعليم وتنظيم دراستهم وفق خطة واضحة ، والارتقاء بطرق التدريس وتطويرها لجعلها تتوافق مع الطرق العصرية السائدة ، فضلاً عن اعفائهم من الضرائب والخدمة العسكرية[22 , ص209].

على اثر تلك المطالب قامت الحكومة بتشكيل لجنة من اجل دراسة المشاكل التي يُعاني منها الطلبة ، الا ان الطلبة بدورهم أدركوا بأن الحكومة غير جادة في حل تلك المشاكل ، لذا اعلنوا الاضراب عن الدراسة في 16 نيسان 1910م ، ومقاطعة الدروس وعدم الدخول الى الجامع حتى تحقيق مطالبهم[23 , ص6].

قام الطلبة المتظاهرين بتكليف علي باش حانبه ليؤدي دور الوساطة بينهم وبين الادارة ، والتفاوض مع السلطة من اجل تلبية مطالبهم وانهاء الاضراب[19 , ص75-76].

بدورهِ القى علي باش حانبه خطاباً الى الطلبة يوم 18 نيسان اثنى فيه عليهم وحياهم على الطريقة السلمية والهادئة التي تميزوا بها من اجل ايصال مطالبهم ، وانهم رجال حكمة ونظام ، فضلاً عن قيامهِ بتقسيم مطالبهم الى قسمين : الاول منها لا يحتمل التأجيل وبالأمكان تحقيقه وبأقرب وقت ، بينما القسم الآخر من المطالب بحاجة الى وقت كافي ليتم تحقيقه[24, ص11].

نجح علي باش حانبه في وساطته بعد ان وافقت السلطة المسؤولة على المطالب وقدمت بعض التنازلات ، وبالتالي تم تعليق الاضراب من قبل الطلبة[24 , ص11].

بعد نجاح الوساطة تجمع الطلبة امام المدرسة الصادقية واقاموا احتفالاً بالانتصار الذي حققوه ، بعد ان استجابت الحكومة للكثير من مطالبهم ، وحضر هذا الاحتفال عدداً من اعضاء المدرسة

الصادقية ، كما القى زعماء حركة الشباب التونسي خطابات مساندة لأصلاح التعليم في جامع الزيتونة ، ودعوا الى تظافر الجهود بين الزيتونة والصادقية بأعتبارهم ابناء وطن واحد ويحملون اهدافاً واحدة[12 , ص38].

2- دورهُ في دعم الليبيين ضد الاحتلال الايطالي عام 1911م .

في اواخر شهر ايلول من عام 1911م ، اعلنت ايطاليا نيتها في ضم ولاية طرابلس لنفوذها ، بحجة عجز السلطان العثماني في توفير الحماية اللازمة لرعايا ايطاليا في ليبيا[19 , ص76].

بالفعل اصدر ملك ايطاليا قراراً في 5 تشرين الثاني 1911م بضم ولاية طرابلس الى ممتلكاتهِ الاستعمارية[14 , ص42].

كانت ردة فعل الشعب التونسي كبيرة جراء قرار الملك الايطالي ، لذا هبَ الشعب في تونس الى الوقوف مع اخوانهِ الليبيين واخذ يقدم العون لهم بالمال والرجال للوقوف بوجه المستعمرين الايطاليين[25 , ص75] .

قام علي باش حانبه بتأسيس لجنة من اجل جمع التبرعات للمناضلين في طرابلس وأُطلق عليها (لجنة الهلال الاحمر العثماني) ، وكان عملها سرياً في البداية ثم تحولت بعدها الى العمل بصورة علنية وشارك في التبرعات العديد من فئات الشعب التونسي حتى الفقراء منهم[16 , ص198-199].

اما على الصعيد الاعلامي ، فقد قام علي باش حانبه بأصدار جريدة (الاتحاد الاسلامي) بالتعاون مع عبد العزيز الثعالبي ، وذلك من اجل دعوة المسلمين الى توحيد جهودهم للوقوف بوجه السيطرة الأوربية ، والرد على ما تنشرهُ (جريدة الوحدة) التي تقوم بأصدارها الجالية الايطالية في تونس ، ورأى علي باش حانبه ضرورة قيام جريدة الاتحاد الاسلامي بالتنديد بعدم التزام سلطة الحماية بموقفها الحيادي الذي اعلنت عنهُ من قبل[19 , ص76].

وعلى الرغم من تمكن الايطاليين من السيطرة على طرابلس في ليبيا ، الا ان موقف الحركة الوطنية في تونس كان ايجابياً ، وبالتالي اسهم موقفها في تأجيج مشاعر الشعب التونسي ضد المستعمرين الأوربيين[16 , ص201].

3- دورهُ في مقاطعة شركة (الترام) عام 1912م ونفيهُ خارج البلاد .

مثلت حادثة (الترام) امتداداً لما سبقتها من احداث سياسية في تونس ، اذ ان الشعب التونسي كان حانقاً جداً على شركة الترام ؛ بسبب تعاملها العنصري البغيض ، اذ انها كانت تفضل الاجانب في وظائفها ، حتى ان عمالها التونسيين على الرغم من قلتهم كانوا يُعاملون معاملة سيئة من قبل الشركة[14 , ص49].

اندلعت احداث الترام يوم 8 شباط 1912م ، عندما قام احد سائقي شركة الترام بدهس طفل تونسي وقتلهِ ؛ نتيجة للسرعة الكبيرة التي كان يقود بها السائق الايطالي مركبتهُ ، حتى ان الشركة لم تعاقب السائق بالعقوبة التي يستحقها ، الامر الذي ادى الى استياء الشعب التونسي[1, ص148].

نتيجة لذلك قرر السكان مقاطعة عربات شركة الترام ، وتم تعليق اعلانات مناهضة للشركة في الاحياء العربية[26 , ص178].

سرعان ما ابدت حركة الشباب التونسي عملية المقاطعة ، فقام علي باش حانبه وبعض اعضاء الحركة بالاتصال بالسكان عن طريق الوصول اليهم وهم في منازلهم وفي المقاهي يدعونهم الى الاستمرار بمقاطعة الشركة الاستعمارية ومواصلة الاضراب[18, ص159].

اخذت سلطة الحماية تعمل على حل الازمة بأسرع وقت ممكن ، فقامت باستدعاء بعض الاعيان وابرزهم علي باش حانبه للتوسط من اجل انهاء حركة المقاطعة ، بدورهِ صرح علي باش حانبه بان عملية المقاطعة لم تكن مدروسة أو مخطط لها ، وانما هي عملية عفوية وبأمكانهِ ثني السكان عن تلك المقاطعة بشرط ان تقوم سلطة الحماية والشركة المسؤولة بتلبية مطالب التونسيين واهمها ضمان المساواة بين جميع العمال في الشركة دون تمييز بين عامل وآخر[19 , ص80].

ان تلك المطالب تم تقديمها بواسطة (لجنة الدفاع عن الحقوق التونسية) وكان من انشط اعضائها علي باش حانبه ، وعندما عرضت اللجنة مطالبها على مدير شركة (الترام) قابلها بالرفض الشديد[27 , ص162].

نتيجة لتفاقم امر المقاطعة أحست سلطة الحماية بخطر اتساعها ، لذا قامت باستدعاء اعضاء لجنة الدفاع عن الحقوق التونسية ووجهت انذاراً لهم ، تضمن ضرورة انهاء المقاطعة خلال مدة لا تتجاوز (48) ساعة ، وبعد كل شخص مؤيداً للمقاطعة بمثابة (المجرم) وتتخذ ضده جميع الاجراءات الصارمة[1 , ص151].

بالرغم من التهديدات الفرنسية الا ان المقاطعة استمرت ، بل ان علي باش حانبه قام بإضافة طلباً جديداً تمثل بضرورة السماح للتونسيين في حق الاقتراع والمشاركة في الانتخابات ، مما دفع المقيم الفرنسي الى اتخاذ اجراءات قاسية ضد المقاطعين[19 , ص81].

لذا قرر المقيم العام الفرنسي في 13 آذار 1912م ، القاء القبض على (7) من افراد لجنة الدفاع عن الحقوق التونسية ، وقام بنفي (4) منهم وهم : (علي باش حانبه وعبد العزيز الثعالبي ومحمد النعمان وحسن قلاتي) الى خارج تونس ، فاستمر علي باش حانبه بالإقامة في اسطنبول حتى وفاتهِ فيها عام 1918م[19 , ص81].

الخاتمة

توصلنا خلال بحثنا عن الشخصية موضوع الدراسة الى عدة نتائج تمحورت حول ما يأتي :

1- ان علي باش حانبه يُعد من اوائل الزعماء الوطنيين في بلادهِ ، فهو اول زعيم قومي قاد الحركة الوطنية في تونس ، وساعد الشباب التونسي في تأسيس دعائم حركتهم ، وبذلك تُعد تونس اول بلدان المغرب العربي التي برزت فيها حركة سياسية قومية منظمة على اساس عصري ، ويرجع الفضل في ذلك الى علي باش حانبه .

2- ساهم علي باش حانبه في رسم المعالم الآيدلوجية للحركة الوطنية التونسية ، وذلك لكونهِ تبنى افكاراً كانت مزيجاً ما بين الروح العصرية والتمسك بجذور الحضارة الاسلامية .

3- لم يكتفِ بالوقوف بوجه المستعمرين الفرنسيين في تونس وتعبئة الشباب التونسي لتولي هذه المهمة ، بل كانت لديهِ رؤية قومية خارج حدود بلده ، وقد جسد ذلك الامر من خلال دعمهِ للشعب الليبي في صراعهِ ضد الاحتلال الايطالي .

4- ان عملية نفيه الى تركيا بالذات كانت عملية مدروسة قام بها الفرنسيين ؛ وذلك لانهم ادركوا بان نفيه الى تركيا التي كانت اساسا مقرا لأجداده ، قد يُساهم في ابعاده عن تونس نهائيا وزوال رغبته في العودة اليها ؛ وذلك لوجود ارتباط تاريخي بينهُ وبين البلاد التي تم ابعادهُ اليها .

قائمة المصادر

1- علي المحجوبي ، الحركة الوطنية التونسية بين الحربين ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، 1986.

2- المدرسة الصادقية : هي احدى المدارس التعليمية التي تأسست في تونس في 27 شباط 1875م ، في عهد (خير الدين باشا) الذي تسلم مقاليد الادارة في تونس عام 1873م ، اذ تعد هذه المدرسة ابرز انجازات خير الدين باشا الاصلاحية ، وكانت ذات صبغة عصرية مشابهة للمعاهد الاوربية الحديثة ، كان تدريس المواد فيها باللغة العربية وتوجد فيها مكتبة ضخمة ، ارتبطت بالجامع الاعظم في تونس .... للمزيد من التفاصيل ينظر : البشير مديني ، مساهمة الجالية الجزائرية بتونس في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية (1830 – 1962 م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ، 2005 .

3- الصادق الزمرلي ، اعلام تونسيون ، تقديم وتعريب : حمادي الساحلي ، دار المغرب الاسلامي ، بيروت ، 1986.

4- البشير صفر : ولد في تونس عام 1865م ، درس في المدرسة الصادقية ثم انتقل بعدها الى الدراسة في معهد (سان لويس) في باريس ، ترجع اصولهُ الى تركيا ... للمزيد من التفاصيل يُنظر : جاب الله حدة وزامي الزهرة ، الفكر الاصلاحي ودورهُ في الحركة الوطنية التونسية (1907-1934م) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة ابن خلدون ، تونس ، 02020

5- محمد الهادي شريف ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال ، ترجمة : محمد شاوش ،ط3، تونس , 1993.

6- علي غنابزية وكوثر هاشم ، جذور مبدأ الاستقلال لدى النخبة الوطنية التونسية في جامع الزيتونة مابين 1881 – 1920 م ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الشهيد حمة لخضر / الوادي ، العدد (4) ، حزيران 2018.

7- محمود شاكر ، التاريخ الاسلامي (التاريخ المعاصر لبلاد المغرب) ، ج14 ، ط2 ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، 1996 .

8- حبيب حسن اللولب ، ابحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر ، منشورات سيدي نابل ، الجزائر ، 2013 .

9- آمنة قوجيل ، حركة الشباب التونسي في نهاية القرن 19 الى بداية القرن العشرين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، جامعة العربي بن مهيدي ، 2019.

10- خير الله بن مصطفى : ولد في تونس عام 1867م ، ذو اصول تركية ، بدأ تعلمهُ في المدرسة العلوية ، وبعد اكمال الدراسة تم تعيينهِ مدرساً في المعهد الصادقي ، ليعمل مترجماً في محكمة تونس ، عين رئيساً لجمعية قدماء الصادقية التي تأسست عام 1905م ، فضلاً عن مشاركتهِ في تحرير جريدة التونسي ، وله مساهمات اصلاحية في مجال التعليم في تونس ، توفي عام 1925م .

11- يوسف مناصرية ، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين (1919 – 1934) ، هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2014 .

12- عبد المجيد كريم وآخرون ، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (1881 – 1964) ، المعهد العالي ، تونس ، 2008 .

13- شارل اندريه جوليان ، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي ، ترجمة : محمد مزالي والبشير سلامة ، ط2 ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1986 .

14- عبد الله الطاهر ، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية وقومية جديدة 1830 – 1956 ، ط2 ، دار المعارف ، تونس ، د.ت .

15- المنجي الزيدي ، التجمع الدستوري التونسي الديمقراطي – التحولات التاريخية ورهانات التغيير ، دار المعارف ، تونس ، 2008.

16- علي الزيدي ، الزيتونيين ودورهم في الحركة الوطنية التونسية 1904 – 1945 ، دار النهى ، تونس ، 2007 .

17- احمد القصاب ، تاريخ تونس المعاصر 1881 – 1956 ، الشركة التونسية للنشر والتوزيع ، تونس ، 1986.

18- عبد الكريم عزيز ، نضال شعب ابي تونس 1881 – 1956 ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 2005 .

19- خليفة الشاطر وآخرون ، تونس عبر التاريخ ، ج3 ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، 2005 .

20- محمود السيد ، تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، موريتانيا) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 2000.

21- علال الفاسي ، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ، ط6 ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، 2003.

22- مختار العياشي ، الزيتونيون والزيتونة في تاريخ تونس المعاصر 1883 – 1958 ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 2003.

23- عزيز توفيق سعد ، تونس والجزائر دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر ، تقديم : ابراهيم خليل احمد ، جامعة الموصل ، د.ت .

24- عبد العزيز الثعالبي ، تونس الشهيرة ، ترجمة وتقديم : سامي الجندي ، دار القدس ، بيروت ، 1975 .

25- خير الدين شترة ، المهاجرون الجزائريون الى البلاد التونسية ، د.م ، الجزائر ، 2013 .

26- محمد المرزوقي ويحيى الجيلاني ، معركة الزلاج ، ط2 ، الشركة التونسية للنشر ، تونس ، د.ت .

27- عثمان الشريف ، اضواء على تاريخ تونس الحديث 1881 – 1924 ، دار بو سلامة ، تونس ، د.ت .